أول مخرجة سينمائية في السعودية تعرض فيلمها في باريس

هيفاء المنصور، البالغة من العمر ٣١ عاماً، ولدت وترعرعت في كنف عائلة لها باع طويلا في عالم الثقافة والفن. عاشت وعائلتها في المنطقة الشرقية في السعودية، والدها عبد الرحمن المنصور هو احد رواد القصيدة التفعيلية الحديثة في السعودية. لها ١٢ شقيقاً وشقيقة يعمل بعضهم في مجال الأدب والفن والرسم التشكيلي. درست الأدب الانكليزي المقارن في

هيفاء المنصور:

«للمرأة الحق في ان تقرر ما تريد لمستقبلها»

الجامعة الاميركية في القاهرة وتخرجت العام ١٩٩٧. كما درست ادارة الأعمال في «جامعة هال» البريطانية وتابعت دورات وورش عمل سينمائية لتتعلم الاخراج في «معهد الفيلم في نيويورك» فاتقنت كتابة السيناريو والتصوير والاخراج. ورغم حداثة وجودها في عالم السينما، استطاعت هيفاء المنصور انجاز ثلاثة أفلام روائية قصيرة. تتميز بذكاء معالجتها لموضوعاتها واتقانها لغة سينمائية شفافة تتوضح أكثر فأكثر مع الامتهان والخبرة، وتنبئ بولادة موهبة سينمائية كبيرة. تحضّر حالياً لفيلم روائي طويل. بدأت هيفاء تصوير أفلامها بالتقنية الرقمية ديجيتال، ثم صورت «أنا والآخر» سينمائياً فتعتبر بذلك أول مخرجة سينمائية في السعودية الى جانب سينمائيين كبار مع فارق الخبرة والانجاز، أمثال عبدالله محيسن، مشعل العنزي، سعد الخميسي، عبد الخالق الغانم، غافل الفاضل وعلي الأمير.

حلت المخرجة السعودية هيفاء المنصور في شهر ايلول ضيفة على برنامج اوبرا وينفري الشهير في حلقة عن نساء من مختلف اقطار العالم حققن انجازات ملحوظة في بلادهن. وبهذا تكون المنصور من العربيات القلائل اللواتي اخترن ليظهرن في هذا البرنامج العالمي الذي يحظى بنسبة مشاهدة عالية غير مسبوقة. وقدمت هيفاء على انها رائدة السينما في السعودية لاخراجها افلاماً مهتمة بالواقع السعودي المعاصر. الجدير ذكره ان فيلم المخرجة الاخير «انا والآخر» حقق رقماً قياسياً في المشاركة في المهرجانات العربية والدولية بلغ اثني عشر مهرجاناً في شهر آذار/مارس الماضي وخلال تشرين الاول/اكتوبر الجاري سيعرض في مهرجان بيروت السينمائي ومهرجان قرطاج، اضافة الى السينما المستقلة في اليونان ومهرجان مونتريال للعالم العربي في كندا. «المرأة» التقت المخرجة السعودية على هامش بينالي السينما العربية في معهد العالم العربي في باريس الذي شاركت فيه وأثار حضورها دهشة الجمهور الغربي الحاضر كونها تخصصت في مجال غير موجود اصلاً في بلادها السعودية.

هيفاء المنصور أنتِ مخرجة سينمائية شابة آتية من بلاد لم يُعرف بأن فيها مسرحاً أو صالة عرض سينمائية واحدة أو ليس لها تاريخ من الانتاج السينمائي أو أي علاقة في لغة الصورة السينمائية؛ انت من المملكة العربية السعودية. كيف غامرت ودخلت عالم السينما في بلد لا ينمو فيه هذا الفن؟

دفعني شغفي الشديد بالسينما للبحث عن فرصة لاقتحام هذا المجال ووجدت ان «مسابقة أفلام من الامارات» فرصة ممتازة. فهي تسعى الى تعزيز ثقافة سينمائية في بلد خليجي قريب في التكوين الاجتماعي من السعودية. وكان ان اتصلت بالأستاذ مسعود أمر الله الذي شجعني واتاح لي أول فرصة للظهور حيث عرض فيلمي «من..؟» ضمن المسابقة الرسمية. فأنا ممتنة جداً للأستاذ مسعود حيث كان أول من قدمّني للوسط السينمائي العربي.

في بينالي السينما العربية في معهد العالم العربي في باريس، كنتُ أقرأ تعابير الدهشة التي ترتسم على وجه الجمهور الفرنسي وأيضاً العربي، وأنا منهم، عندما عرفوا انكِ اولاً مواطنة سعودية ومخرجة جريئة، فكيف واجهتِ هذه الدهشة؟

حاولت قدر المستطاع ان استغل هذا الاندهاش لصالح تغيير النظرة النمطية وغير المكتملة للمرأة السعودية. فكثير من الناس يعتقدون ان المرأة السعودية سلبية ومهمشة. ولا أنكر ان ذلك ربما كان صحيحاً نوعاً ما، وفي وقت ما، ولكن الوضع الآن مختلف حيث أدركت المرأة السعودية أهمية استغلال الجهود المتواصلة التي تحثها على اتخاذ مكانة متقدمة لتطوير مجتمعها وخوض تجارب عملية تتسم بالشمولية والتنوع.

نشأتِ وترعرعتِ في بيئة أدبية وفنية مميزة، ولكنك امرأة تنتمين الى مجتمع سعودي محافظ غير مهيأ لتقبل فكرة وجود امرأة تتدرّج في فنون التمثيل والاخراج. كيف تمكنت من ترسيخ أقدامك في هذا الفن وتحدي التقاليد لتحقيق الهدف؟

لم أكن أحاول أن أتحدى التقاليد كنت فقط أحاول أن احقق شيئاً يسعدني. ولكن من المؤسف ان في مجتمعاتنا العربية تضطر النساء أحياناً الى التخلي عن بعض أحلامهن وتطلعاتهن فقط لكونهن نساء ولأنهن مطالبن من المجتمع بنوع من «تقنين» للطموح من أجل الحصول على القبول الاجتماعي. وهذا شيء غير مبرر وغير منصف للمرأة. وايماني العميق بأن للمرأة الحق في أن تقرر ما تريد لمستقبلها وفي أي مجال طالما أنها تتسلح بالمهنية والموهبة. شخصياً اعتبر ان الله أعطاني قدرة على الصمود والمواجهة عندما أتعرض للنقد من قبل بعض فئات المجتمع المحافظة جداً. وأعتقد ان توقيت ظهوري أيضاً ساهم في انتشاري، فقد كان متزامناً مع مرحلة اجتماعية هامة حظيت بدعم جهود المرأة السعودية.

مساندة

هل كان هنالك تشجيع أو معارضة من عائلتك؟

في الحقيقة هناك تشجيع ومساندة كبيرة من عائلتي ما أعطاني الكثير من الثقة بالنفس والاعتزاز. فعندما أرى عائلتي فخورة وسعيدة عند عرض أعمالي أو قراءة مقالة تتناول أفلامي أحس بشعور رائع من الرضى ورغبة كبيرة في تطوير أدواتي الاخراجية وتحقيق اعمال جميلة ومتفوقة. الامان والاستقرار العائلي من أهم الدعائم التي يرتكز عليها الفرد خصوصاً عند اقتحام مجالاتٍ تتطلب ظهوراً اعلامياً ومواجهة مباشرة مع الجمهور الذي قد يكون محباً وعطوفاً أحياناً أو غاضباً وقاسياً أحياناً أخرى.

هل هنالك شابات أو نساء أخريات احترفن مهنة الاخراج في المملكة؟

هناك مخرجات اذاعيات وتلفزيونيات وربما يكون تواجدي والتغطية الاعلامية التي حازت عليها أعمالي حافزاً لظهور المزيد. فقد اتصلت بي عدد من النساء اللواتي يرغبن في اخراج أفلام وثائقية وروائية.

هل تعلمتِ ومارستِ مهنة لأنك تجدين فيها متعة شخصية أم لأن لديك رسالة أو شيئاً ما تريدين التعبير عنه، فوجدتِ ان أفضل وسيلة للتعبير او ايصال هذه الرسالة هي في مهنة الاخراج؟

كان شغفي بالسينما وعشقي للصورة هما الدافع الأساسي والأول. لكنني لن أتجاهل أن السينما وسيلة ثقافية وترفيهية يجب أن تستغل بذكاء. الفيلم المتفوق هو الفيلم الذي يحمل مضامين غير مألوفة ولكنها مطلوبة، تتحدى الفكر السائد وتحفز على التغيير الذي هو أكثر ما نحتاج اليه في هذه المرحلة التاريخية من تطورنا الاجتماعي، وقد يتبلور هذا في اطار كوميدي، درامي حركي أو حتى من خلال أفلام الغموض والاثارة.

في أفلامك تعالجين مواضيع اجتماعية لها صلة بالواقع الوطني والاجتماعي في المملكة العربية السعودية غير أننا نجد أن المرأة وقضاياها غائبة في أفلامك لماذا؟

لم يكن ذلك متعمداً اطلاقاً، ولكن ألا ترين معي أن تجربة المرأة الابداعية محاصرة نوعاً ما؟ عندما تكتب المرأة أو تخرج فيلماً مثلاً يتوقع الجميع منها أن تصنع أفلاماً تتكلم عن تجربتها كامرأة وكأن ذلك القضية الوحيدة التي تشغلها. في اعتقادي، أن ما يُطلق عليه «أدب المرأة» و«سينما المرأة» ساهم في فصل ابداع المرأة عن السائد وبالتالي تصنيفه كتجربة منفردة تدعي بشكل أو بآخر بان ابداع المرأة هو حالة استثنائية. هذا لا يخدم قضيتنا كنساء نكافح بصدقٍ لكي نتخلص من التهميش والعزلة. فالمرأة يجب أن ترى نفسها ككائن مشارك اجتماعياً ووطنياً وفنياً وليس نسائياً فقط.

أول يوم

حدثينا عن شعورك في اول يوم تصوير، أول يوم مونتاج، أول يوم عُرض فيه الفيلم أمام الجمهور؟

أول يوم تصوير كان يوماً مبهجاً ومشرقاً وكنت ◄

اشعربفرح غامر وامتلأتُ بحس المغامرة. أما أول يوم مونتاج فكان مخيفاً اذ أدركتُ اني سوف أواجه مشاكل عدة في تنقية الصوت والحصول على بعض المشاهد التي لا أدري حتى الآن الى أين آل مصيرها. وأخيراً أنا أخاف يوم العرض لأنه يكون مليئاً بالترقب والقلق من ردة الفعل ومدى تقبل الجمهور للفيلم. وحتى الآن لا أستطيع التواجد في الصالة خلال عرض فيلم من أفلامي.

هل تعرّف الجمهور السعودي الى أعمالك، أي هل عرضت أعمالك في السعودية وما كانت ردّة فعل الجمهور؟

تعرف الجمهور السعودي الى فيلمي الأول «من..؟» بشكل وافٍ خصوصاً بين أوساط الشباب حيث تم تبادلهُ من خلال رسائل الانترنت. فمدة الفيلم كانت قصيرة ولا تتجاوز دقائق. أما بالنسبة للأفلام الأخرى فقد عرضت مشاهد منها في خلال مقابلات لي على التلفزيون. ولكن في أغلب الأحيان تكون الأفلام القصيرة محصورة في اطار المهرجانات والفعاليات السينمائية، وحتى في بلد كمصر مثلاً لا تجد الأفلام القصيرة طريقها الى الجمهور بسهولة. عموماً، هناك مشاريع لعرض بعض الأفلام الخليجية القصيرة على قنوات فضائية وأتمنى أن يكون فيلمي من ضمن تلك الأفلام.

أما بالنسبة الى الجمهور السعودي فهو منقسم بين مؤيد ومعارض وربما يكون ذلك سبب الاقبال الذي لم أتوقعهُ لمشاهدة أفلامي والاطلاع عليها.

افلامها

الأفلام الروائية القصيرة:

«من؟»: مستوحى من قصة «السفاح» قاتل النساء التي شغلت المجتمع السعودي والشرطة السعودية.

مدته: ٧ دقائق و١٢ ثانية. **تقنية التصوير:** رقمية.

عرض في: مسابقة «أفلام من الامارات» (٢٠٠٣).

«الرحيل المر»: قصة ولد يهاجر الى المدينة لطلب العلم ولا يعود. **مدته:** ١٢ دقيقة.

تقنية التصوير: رقمية.

عرض في: «مهرجان الاسماعيلية الدولي للأفلام القصيرة والتسجيلية» (٢٠٠٣).

«أنا والآخر»: يعالج قضايا التعدد الفكري في السعودية، ثلاثة شبان مختلفين تماماً يقعون في مأزق يحتم عليهم تقبل بعضهم البعض. هل سيتمكن الثلاثة من النجاة؟ **مدته:** ١٥ دقيقة.

تقنية التصوير: فيلم ١٦ مم. حائز على «أفضل سيناريو» ■ مسابقة أفلام من الامارات، أبو ظبي ■ (آذار ٢٠٠٤).

الفيلم العربي الوحيد الذي عرض في «مهرجان فلاينج بروم العالمي لسينما المرأة في أنقرة» ■ تركيا ■ (أيار ٢٠٠٤). حائز على «تنويه خاص» ■ مهرجان روتردام للفيلم العربي ■ هولندا ■ (حزيران ٢٠٠٤) عرض في: جامعة سنترال فلوريدا ■ فلوريدا، مسابقة أفلام من الامارات ■ أبو ظبي، مهرجان دبي الثقافي لسينما المرأة ■ دبي، مهرجان فلاينج بروم العالمي لسينما المرأة ■ أنقرة، مهرجان روتردام للأفلام العربية ■ هولندا، بينالي السينما العربية في باريس ■ فرنسا، مهرجان الاسماعيلية الدولي للأفلام القصيرة والتسجيلية ■ مصر.

ومن المتوقع عرضه خلال شهر تشرين الاول في مهرجان بيروت السينمائي ■ لبنان، مهرجان قرطاج السينمائي ■ تونس، تشرين الاول، مهرجان السينما المستقلة ■ أثينا، اليونان، مهرجان العالم العربي في مونتريال ■ كندا، مهرجان أمستردام للأفلام العربية د هولندا...

من الممكن مشاهدة الأفلام عبر موقع انترنت الخاص بهيفاء المنصور
www.haifaa.com

خطوط حمر

هل من خطوط حمر أثناء معالجتك موضوعات أفلامكِ؟ وكيف تتعاطين مع الرَقابة؟ وما مدى مساحة حرية التعبير التي تتوفر لكِ؟

أنا أحترم كوني أنتمي لمجتمع محافظ ومتديّن لم يألف السينما بعد. ولكن في الوقت عينه لا أعتقد ان ذلك يجب أن يمنعنا من تناول قضايانا بمصداقية. هناك الكثير مما نظن انه من المسلمات ونرفض مناقشته وهو في حقيقة الأمر ممارسات اجتماعية خاطئة وغير مجدية، تعيق مسيرتنا كشعوب لها حضارة وتاريخ.

ما هو واقع الاخراج السينمائي في السعودية؟

الصناعة السينمائية غائبة في الخليج بصفة عامة وليس فقط في السعودية وذلك عائد بالدرجة الأولى لغياب التمويل التجاري الذي من شأنه أن يدفع عجلة السينما قدماً. ولكن في ظل الثورة الرقمية أصبح بالامكان صنع أفلام قليلة التكلفة وهناك بوادر لسينما خليجية خصوصاً في الامارات كما هناك محاولات في السعودية قد تبدو فردية ولكنها تمهد الطريق لفتح المجال أمام السينما.

هل من افلام مرتقبة للاشهر المقبلة؟

أنا أعد الآن لفيلمي الروائي الطويل الأول بتروٍ ودقة وأبحث عن التمويل اللازم وأتمنى بشدة أن يكون فيلماً جميلاً يرفع من أسهمي كسينمائية. فنجاح الفيلم سيساعدني لكي اتفرغ تماماً للاحتراف في مجال الاخراج السينمائي.

باريس - حوار وتصوير:
نايلة صليبي